الفصل الثاني

الشتاء (١٩٦١ - ١٩٦٢)

في أواخر الشهر العاشر من ١٩٦١ تمّ تطهير منطقة كاني ماسي من قوات الشرطة والجاش بالكامل. وبسط جيش الثورة سيطرته التامة على بَرواري بالا ولم يعد فيها من يمثل السلطة الحاكمة هناك.

من نافلة القول ان الموقف المشرّف لأهالي بَرواري بالا قاطبةً مسلمين ومسيحيين رجالاً ونساءً جعل منطقة هذه العشيرة تبدو لردح من الزمن بمثابة مقر عام لقيادة الثورة.

لم يضن أهل العشيرة على الثورة بالمال أو بالروح وإنّ القلم ليعجز عن وصف ما قاموا به. وبادر الذكور البالغون منهم الى الإلتحاق بصفوف الپيشمرگه سواء من ملك سلاحاً أو لم يملك. وتفانت النسوة في خدمة الپيشمرگه وتهيئة الخبز وما يتيسر من الادام – آناء الليل، ليهرعن بأطفالهن عند إنبلاج الفجر الى شعاب الجبال متفرقات وراء صخرة أو شجرة إتقاء القصف الجوي غير مباليات بالبرد القارس وغوائل الطبيعة. ولم تدع الغارات الجوية للمنطقة أيّ راحة وقد دأبت على القيام بطلعات مستمرة فلا يمر يوم واحد دون زيارة لها في سائر المنطقة.

في يوم ١٠ تشرين الثاني ١٩٦١، بعد تطهير المنطقة كما أسلفنا. تم تثبيت مقرات للپيشمرگه في سائر أنحائها. هنا لايسعني أن أمرّ دون ذكر لشهامة امرأة من قرية اورمانا. وهو ما حدّثني به البارزاني نفسه، قال:

"في السابع من كانون الأول ١٩٦١ قصفت الطائرات قريتها بوحشية

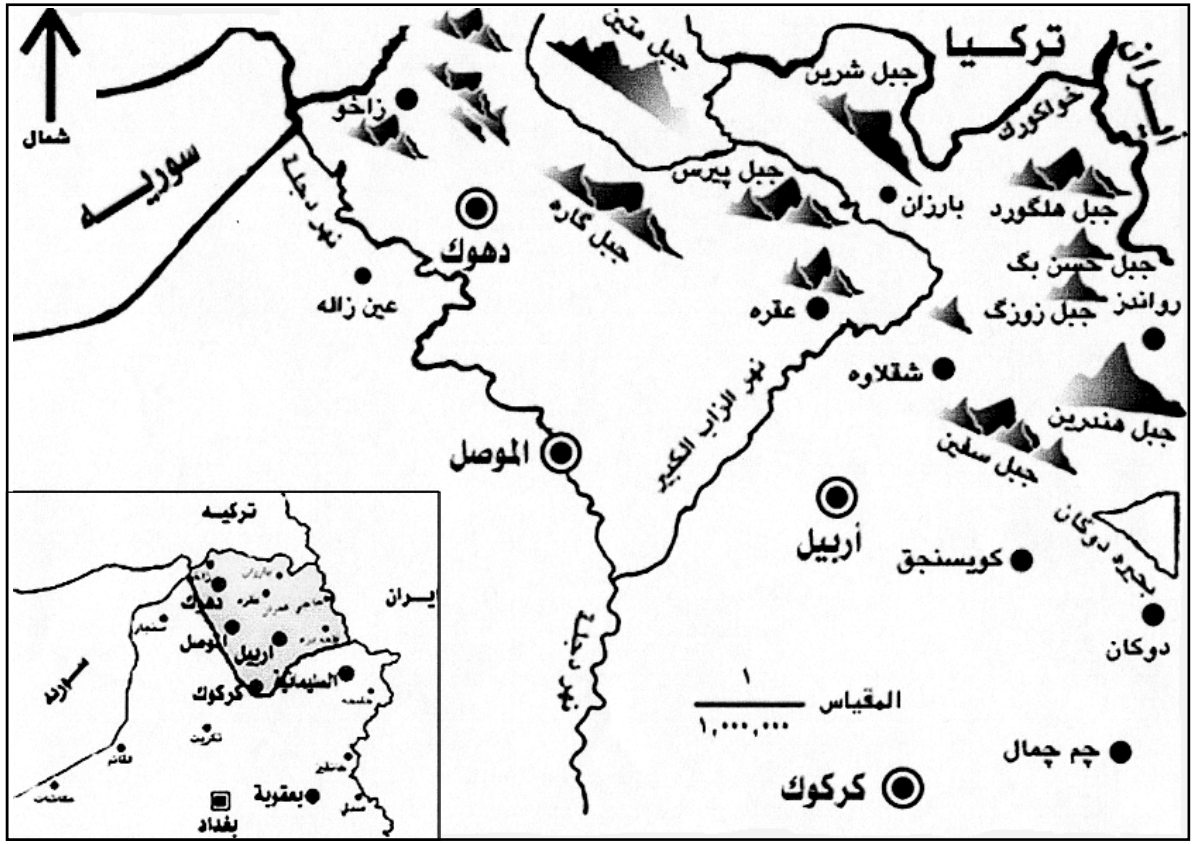

الخارطة رقم -٣- ساحة العمليات في العامَيْن ١٩٦١ و١٩٦٣

وقتلت ثلاثة أطفال صغار وقد تركت تلك الوحشية السافرة أثراً عميقاً في نفسي. عندما وقعت أنظاري على أشلاء هؤلاء الأطفال المتناثرة عجزتُ عن حبس دموعي ويومها كنا في منزل (عبدالله عمر حَمه رَش) وأُم عبدالله إسمها (مريام) اقتربت مني وقالت: نفسي فداك (أزگوري) عرفتُ بأن تأثرك كان شديداً بإستشهاد هؤلاء الأطفال. أرجو أن لايأخذ منك الأسى والحزن فللثورة والإستقلال ثمن واجب الأداء ونحن على إستعداد أن نقدم نتاج سنة واحدة من أرحامنا ومن أفلاذ أكبادنا فداءً لرفع ظلم قاسم وكلنا فداء لكردستان ومن العار أن يكون الكُردي مرتزقاً (جاشاً). نفسي فداك سر الى الأمام باسم الله لأجل كردستان ولا تهتم بمصيرنا."

كثيراً ماكان البارزاني يستعيد أقوال هذه المرأة واصفاً الأثر العميق الذي خلفه فيه حديثها ومقدار ما بثّ فيه من عزم وإيمان برسالته مادحاً نساء كردستان ومستشهداً بقولها. وحملت الفتاة الآشورية مارگريت جورج السلاح وإلتحقت بالثورة وأصبحت قدوة لفتيات كردستان.

ومن الجدير بالإشارة أن ماقام به عبدالرحمن بناڤي من خدمة ورعاية خاصة للبارزاني طوال الثورة كان مما لايُنسى، فقد تولّى مسؤولية تأمين الأرزاق له والتأكد من سلامته[1].

موقف العشائر الأخرى

جاء دور تطويع مناطق العشائر الأخرى المجاورة بعد سيطرة الثورة عليها كعشيرة الگلي والسندي ودوسكي السفلى وبَرواري السفلى. وقد تم ذلك ايضاً وفق منهاج معدّ وبمساندة المخلصين وأعضاء الپارتي وفي أواخر شهر تشرين الثاني بدأت قوات الگلي والسندي بتطهير منطقتها بنفسها وإستقبال البارزاني وقواته. وإلتحق جميع مسلحي هاتين العشيرتين بقوات الپيشمرگه وكان عددهم كبيراً.

شملت هذه المنطقة مساحة واسعة إبتداءً من حدود بارزان والحدود الدولية شمالاً

١- مما هو جدير بالذكر هنا أن هذه المنطقة كانت في ثورة گولان معقلاً للثوار وقلعة للپيشمرگه.

ونزولاً الى عشائر الريكان والنيروَيي وبرواري السفلى والدوسكي العليا والگُلي والسندي، هذه المنطقة اصبحت تحت سيطرة القوات الثورية التامة. وهنا يصعب عليّ إغفال ذكر حاجي صادق برو رئيس عشيرة گُلي فقد تمثل في هذا الإنسان كل صفات الشهامة والرجولة وصدق القول والأمانة على العهد وخصّ البارزاني بولائه المطلق ووضع نفسه وماله في خدمة القضية الكُردية وبيّن إستعداده لإستقباله وقواته بكل رحابة صدر وحظي بإحترام وولاء أبناء عشيرته. نفّذ وعده هذا وقدَّم إبنه (مسعوداً) شهيداً في إحدى معارك العام ١٩٦٢.

إنضمّ عدد من رؤساء أفخاد عشيرة سندي الى قوات الپيشمرگه وأبلوا أحسن البلاء في سائر المعارك وكانوا نماذج تحتذى في الفداء والشجاعة. هؤلاء أدّوا للثورة خدمات لاتُنسى.

بعد تطهير منطقة سندي وتأسيس مقرات للحزب ولقيادات الپيشمرگه فيها توجَّه البارزاني بجزءٍ من قواته نحو منطقة عشيرة الدوسكي السفلى وأنجز تطهيرها وبسط السيطرة التامة عليها أسوة بما سبق من المناطق بالتعاون بين الحزبيين والمخلصين من أفراد تلك العشيرة. ولقي وقواته عين ما لقيه في المناطق الأخرى من حفاوة وترحاب. وهنا وجب عليَّ التنويه بالمواقف المشرفة التي وقفها بعض زعماء هذه العشيرة وبالأخص الكوادر الحزبية منهم.

وجرى في هذه المنطقة عين ما جرى في المناطق الأخرى من تنظيم إداري وقيادي.

تمّ بسط السيطرة التامة على هذه المنطقة وتطهيرها خلال الأسبوع الأول من شهر كانون الأول.

معركة زاويته

ما ان حلّ شهر كانون الأول ١٩٦١ حتى كانت الثورة قد قطعت شوطاً هاماً في مجال تعزيز مواقعها وحققت سيطرتها التامة عليها. وقد ذاعت أنباء نجاحاتها في سائر أنحاء البلاد ولاسيّما في كردستان بخلاف ما إدّعاه عبدالكريم قاسم من القضاء على الثورة في مؤتمره الصحفي. إذ كانت الأنباء المتواترة يتداولها الناس والأوساط السياسية وكلها يكذِّب إدعاءات الحكومة ووقعت السلطة في حيرة وبدأت تتخبط في

إجراءاتها وكانت كمَنْ يغوص في حمأة الطين في كل خطوة تخطوها. وزاد إعتمادها على تجنيد المرتزقة الجاش بإستمالتهم وإغرائهم بالمال والجاه. إنّ إعتماد السلطة على تجنيد المرتزقة كان متأتياً بالدرجة الأولى من جهل القوات النظامية بطبيعة الأرض والطرق والمسالك الجبلية الوعرة فضلاً عن هبوط معنويات القوات النظامية وعدم خبرتها بحروب الأنصار. اما من جهة المرتزقة وقيمتهم القتالية فمن المعروف انهم ليسوا أصحاب قضية وانما كان هدفهم المال ليس غير. لذلك فإننا لانستطيع أن نعزو إليهم وكما برهنت الوقائع تلك الشجاعة والإقدام الذي عُرف به الكُرد دولياً. في معركة زاويته التي سنعرض الآن وصفاً لها كانت المواجهة مع وحدات الشرطة والجيش فحسب ولم يشارك فيها (الجاش).

في اليوم العاشر من كانون الأول تم تحرير ناحية سَرسنگ من القوات الحكومية وسيطر الپيشمرگه على وادي زاويته على مشارف دهوك. عندها حشدت السلطة قواتها لهجوم واسع النطاق بهدف فتح طريق سَرسنگ وإعادة إحتلال سَرسنگ. وفي ١٢ من كانون الأول ١٩٦١ قام فوجان من اللواء الأول للشرطة وفوج ثالث من مرتبات اللواء الحادي عشر من الجيش بقيادة العقيد بشير إبراهيم بالتقدم. وحبس الپيشمرگه نيرانهم حتى بلغت القوة المتقدمة متنصف الوادي وحينئذ فتحوا النار على الرتل المتقدم من جانبي الطريق. وكانت مسيرة الجيش على شكل الرتل المنفرد من دون أخذ ستار أو حماية بمجنبات على الاصول العسكرية. ولم يَدُر بخلدهم أن گلي زاويته كان قد وقع بيد الثوار. لم تكن معركة بالمعنى العسكري المعروف بل مذبحة فقد وقعت هذه الأفواج الثلاثة في كمين محكم ولم ينجُ منها إلاّ عدد قليل. وفيما يلي حصيلة تلك المعركة:

- ٦٠٠ قتيل (معظم القتلى من أفراد الجيش).
- ٥٠٠ أسير (معظم الأسرى من أفراد الشرطة).
- ٧٦ عجلة تم إحراقها.
- ١٥٠٠ قطعة سلاح جُمعتْ من ميدان المعركة. وهي بندقيات من نوع سمينيوف وكلاشنكوف وإنگليزية من نوع (لي إنفيلد ٣٠٣).
- كميات كبيرة جداً من الذخائر والعتاد.

وفقد الثوار ستة شهداء وتسعة عشر جريحاً.

بهذه المعركة إنتقلت الثورة الكُردية الى مرحلة جديدة. وثبتت أسسها عميقاً وبددت كلّ قلق كان يساور بعضهم على مصيرها. ولاتَسَلْ عما أحدثته هذه الوقعة في نفوس ضباط الجيش العراقي. واني لأشير الى إعتراف أحدهم وهو المقدم سعيد حمّو أحد أمراء أفواج اللواء الحادي عشر. فقد أورد في كتابه (ص٢٠) وصفاً لتلك المعركة يتضمن إقراراً بهزيمة القوات الحكومية.

لعلّي لا أبالغ إن قلت بأن معركة زاويته كانت واحدة من المعارك الفاصلة في تاريخ ثورة أيلول منيت فيها القوات الحكومية ولأول مرة بمثل هذه الخسارة العظيمة في الأرواح والمعدات. إنّ المقاومة لم تصمد إلاّ حيث كان البارزاني، وإنّ إجتماع اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني في عَودالان جاء في أعقاب تلك الإنتصارات ومن ثمّ بدأت التحركات في المناطق الشرقية من كردستان.

من آثار هذه المعركة أنّها بثّت روح الإقدام والعزم والثقة بالنفس ورفعت معنويات أعضاء الحزب الديمقراطي الكُردستاني في كل مكان من البلاد وعادت تنظيماته الى النشاط دون خوف من ملاحقة السلطات وتحدياً لها. وعلى اثر المعركة جرى إجتماع للجنة المركزية للحزب في قرية عَودالان وأتخذ قرار خلال الإجتماع بتنظيم صفوف الحزب ووضع مباديء وقواعد لتنظيم الپيشمرگه كما قررّ تبنّي الشعار المركزي للحزب:

«الديمقرطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان»

ويعكس هذا الشعار حكمة وسعة أفق قيادة ثورة أيلول ويقدم صورة حية للنضال المشترك للعرب والكرد في العراق وإرتباط حلّ القضية الكردية بمسألة الديمقراطية في العراق.

بعد هذه الهزائم إعتمدت الحكومة بالدرجة الأساسية على القوة الجوية حيث لم يكن يمر يوم دون أن تتعرض مجموعة من القرى الى قصف جوي.

بعد هذه المعركة توزّع أعضاء المكتب السياسي على مختلف المناطق لغرض تجميع فصائل الثوار. وتوجّه جلال الطالباني الى منطقة چَمي ريزان بمساعدة قيّمة من شيخ عزيز شيخ يوسف وفيها لقي دعماً قوياً من الشيخ الوطنيّ الغيور فتاح عَودالان

ورهطه. وشمل نشاطه منطقة السليمانية. وما لبث أنْ إجتمع له عددٌ لايُستهان به من كوادر الحزب والپيشمرگه والمخلصين من أبناء العشائر مكّنه من المباشرة بعمليّاتٍ عسكرية إستهدفت مخافر الشرطة والمقرات الحكومية. فضلاً عن تأسيسه مقراً شبه ثابت للمكتب السياسي (م.س) في منطقة ماوَت.

من جهة أخرى نشط عمر مصطفى دبابه مع عدد من كوادر الحزب في منطقة پشدَر وبيتوين بدعم ومساندة بعض أغوات العشائر الذين صمدوا ولم يستسلموا، من أمثال عباس آغا وأنور بگ والشيخ حسين بوسكيني والشيخ خدر سَيْداوا وغيرهم.